

الحقيقي الذي يمتاز بالحيوية والاستقلال وحرية الحركة داخل القصيدة . لناخذ مثلاً قصيدة الديوان الأخيرة « سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » ، التي يعتبرها الشاعر أكثر قصائده « حدائثاً وتعقيداً » (٧١) . فمع ان الشاعر قصد ان تكون شخصية سرحان رمزاً للشعب الفلسطيني فهو لم يستطع بلوغ الرمز من حيث هو صورة مستقلة تفعل بذاتها وتنمو داخل القصيدة . ولم يستطع ان يتقمص شخصية سرحان ولذلك اعتمدت القصيدة السرد لا الفعل الدرامي ، فظل الشاعر يتدخل من الخارج ليحدثنا عن سرحان ، ولم تظهر شخصية سرحان بذاتها كصاحب فعل في القصيدة . ولم يستطع محمود درويش ان يتخلص من التعبير المباشر في مواضع كثيرة من مجموعته الشعرية هذه كأن يقول مثلاً : « وسرحان متهم بالضياح وبالعمدية » (٧٢) ، و « سرحان لا يقرأ الصحف العربية » . لا يعرف المهرجانات والتوصيات . فكيف اذن جاءه الحزن . كيف تقياً؟ » (٧٢) ، و « جراحك مطبوعة للبلاغات والتوصيات ، وباسمك تنتصر الابجدية ، باسمك يجلس عيسى الى مكتب ويوقع صفقة خمر واقمشة ويحيي العساكر باسمك » (٧٤) .

كذلك ، ومع ان محمود درويش استغل في مجموعته هذه ، الاشارات الاسطورية ، فهو لم يستطع ان يعيد خلق الاسطورة ، ويكسبها معاني جديدة اذ ان الاسطورة التي تعبر عن حقائق النفس البشرية ، توحد بين العيني والمطلق ، وترتفع بالتجربة الشعرية من الفردية الى الحقيقة الانسانية الخالدة . فالشاعر وان استطاع ان يتحد مع الوطن في مواضع كثيرة — أشرنا الى بعضها — في ديوانه ، فانه لم يستطع ان يجعل من هَذَا الوطن اسطورة . وان تخطى التجربة الفردية الى القومية وشارف التجربة الانسانية المطلقة ، فانه لم يبلغها .

لكن هذه الاحكام لا تغض من قيمة ديوان « احبك او لا احبك » . فهذا الديوان الذي يسكن اعتباره تحولاً ملحوظاً في مسيرة محمود درويش الشعرية ، هو بداية انطلاق الشاعر نحو آفاق جديدة من الصعب ان نعرف الان الى أي مدى ستصل به . وقد حكمت على هذه المجموعة الشعرية بالمعايير النقدية نفسها التي يحكم بها على أي شاعر عربي آخر ، لايماني ان الشعر الفلسطيني ليس ظاهرة منقطعة عن تيار الشعر العربي الحديث ، بل هو جزء من هذا التيار . ومن البديهي ان محمود درويش ليس من جيل رواد الشعر العربي الحديث كالسياب والحاوي والبياتي وادونيس وعبد الصبور ، ولذا فنحن نتجنى عليه اذا حاولنا ان نجد له مكاناً بينهم . ولكنه من الجيل الثاني من شعراء التيار الحديث ؛ هذا الجيل الذي ما زال يبحث عن طريق : فهو تارة يقتفي آثار الرواد ، وطورا يحاول اشكالا جديدة من خلال قراءاته للشعر العالمي . ولكن المهم ان محمود درويش اكتسب تجربة نضالية وفنية جديدة ظهرت بوضوح في مجموعته الشعرية الأخيرة ، فبلغ فيها مستوى لم يبلغه في قصائده التي نظمت في الوطن المحتل . لان وجوده في العالم العربي فتح امامه مجال الاستفادة من تجربة الشعراء الرواد في الادب الحديث ، ومواكبة النشاط الادبي العربي والعالمي بشكل مباشر ، فضلا عن الابعاد النضالية الجديدة التي اغنتت بها تجربته الشعرية . ولا تعد السنة او السنتان كثيرا في مسار التجارب الشعرية . وأرى أن امام محمود درويش آفاقا واسعة في الشعر يستطيع ان يصل اليها بموهبته ، اذا انكسب على تعميق ثقافته الفلسفية والنقدية ، واذا واصل تكثيف تجربته النضالية ، فيكون ما عرف « بقضية خروج محمود درويش » انبعاتا جديدا للشاعر .

١ — جريدة الانوار ، بيروت ، ١٠/٢/١٩٧١ ، ص ٦ .

٢ — جريدة الانوار ، نص البيان الصحفي الذي تلاه محمود درويش ، بيروت ، ١٢/٢/١٩٧١ ، ص ١ .

٣ — م . ن . ، البيان .

٤ — م . ن . ، البيان .

٥ — مجلة الصيد ، بيروت ، ٢٥/٢/١٩٧١ ، ص ١ .